القـسم الأول

مصُّ الأصـابع

الفصل الأول

طبيعة عادة مصّ الأصابع

✍يخاف الآباء والأمهات من عادة مصّ الأصابع، ويزداد خوفهم عند سماع الأحاديث الإذاعيَّة والتلفزيونيَّة التي تُبيّن ما يمكن أنْ تُحدثه هذه العادة من أضرار وخاصَّة في مجال تشوُّهات الفم والأسنان، فيحاولون منعها ــ غالباً ــ بوسائل مُتعدّدة تعتمد في المقام الأوَّل علي الشدة والعنف، ممَّا يُسئ للطفل أكثر ممَّا يُسيئه من العادة نفسها، وهذا ما يجعله أكثر تشبُّثاً بها !!

عادة مصُّ الأصابع..أكثر العادات انتشار في الطفولة:

هناك الكثير من العادات التي يألفها الطفل منذ صغره، وربما تأصلت في نفسه مع كبره، والتي يمكن أن ينتج عنها العديد من المشكلات علي الصعيد الجسمي أو النفسي٠وتحتاج مثل هذه العادات لانتباه الوالدين، ومحاولة القيام بعلاج هذه الحالات قبل تأصُّلها وتحوُّلها إلي حالةٍ مرضيةٍ٠

وعادة مصّ الأصابع Digital Sucking عند الأطفال من العادات الشائعة والمألوفة في جميع أنحاء العالم،فتُسميّ هذه العادة في الدول الأوروبيَّة عادة «مصّ الإبهام»، لأنَّ الإبهام هو الأكثر استعمالاً في عادة المصّ٠ ونحن هنا في مصر نُسميها «مصّ الأصابع» بدون تعيين للأصبع المُستعمل٠ والواقع فإنَّ الطفل قد يمصّ أصبع من أصابعه، وقد يمصّ أكثر من أصبع واحد أحياناً، كما أنَّه قد يمصّ إبهام قدمه في أحوال شاذة٠

وقد يعتاد الطفل أن يُرافق عادة المصّ هذه بعادات أُخري يُجريها باليد الثانية،كشدّ الأذن، أو الشعر، أو حك الأنف، أو حك الذقن، أو لمس العضو التناسلي، أو ضم لُعبته المفضلة٠

مصُّ الأصابع..عادة غريزيَّة طبيعيَّة:

يقول أحد الأطباء: إنَّ كُلَّ طفل لابدّ أن يمصّ أصابعه في وقتٍ من أوقات طفولته٠وهي عادة تنتشر عند غالبية الأطفال الرضع، إذ تصل إلي نسبةٍ تتراوح من ٥٠ إلي ٨٥٪ أحياناً٠

وفي إحصائية أمريكية واسعة وُجد أنَّ ٥,٢٣ ٪ من الأطفال في عُمُر السنتين مُعتادون علي مصّ الأصابع، وتتدني النسبة لتصبح١٤, ٦٪ في عُمُر الخمس سنوات٠

وقد أعتبر بعض الباحثين في علم نفس الطفولة أنَّ مصَّ الأصابع يُشكّل غريزية طبيعيَّة عند الطفل يُمارسها عادةً في الأشهر الأولي عقب ولادته، وغالباً ما تكون واضحة في الأشهر الستة الأولي من عُمُر الطفل، وتكون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنَّوم، وقد تُساعده عليه، ويكاد يختفي هذا الارتباط الوثيق عند بلوغ الطفل سن الثلاث سنوات٠

وقد يبقي مصّ الأصابع أياماً أو أسابيع، وقد يستمر ويبقي حتى سن الخامسة أو السادسة من العُمُر، وتقل هذه العادة بشكلٍ نسبي بعد سن السَّابعة٠

عادة مصُّ « اللهاية » :

قد يعتاد الطفل مصّ «اللهاية»، أو كما نطلق عليها أحياناً «السكاتة»، إنْ أُعطيت له في وقت مبكر «لتلهيه» عندما يهم بالبكاء٠ وحكم مصّ «اللهاية» كحكم مصّ الأصابع، وهذه العادة أكثر انتشاراً في البيئات الاجتماعيَّة التي تُعطي «اللهاية» منذ الأيام الأولي بعد الولادة٠وفي البيئات التي لا تزال مُحافظة علي عادة «لتقميط» (أي لف الطفل بالقماط) إذ أنَّ الطفل عندئذ لا يستطيع استعمال أصبعه أو مصه لو أراد، كما أنَّه يُصبح بحاجة أشد للتهدئة لكثرة بكائه، بسبب انزعاجه الشديد من جرَّاء تقييده، فيعطي «اللهاية» لإسكاته ومن ثمّ يتعوَّد عليها٠

طبيعة عادة مصُّ الأصابع:

الحركات التي يؤديها الطفل بأصابعه خلال فترة الرضاعة تُعتبر سلوكيات غير منتظمة أو غير واعية، فهو بطريق الصدفة يضع أصبعه في فمه حيث يُمنح بذلك الفرص لتجريب شعور قريب للغاية من الرضاعة الحقيقية؛ ولأنَّ الحركة هذه تُعطيه شعوراً بالرضاعة، فهو يقوم بتكرارها مرَّات كثيرة، كُلَّما سنحت له الفرصة كي يستمتع بها متى رغب بذلك٠

وعادة مصّ الأصابع عادة مُحكمة التنظيم من الحركات العضليَّة، وتنفع الطفل نفعاً كبيراً في مطلع حياته، كما أنَّها رد فعل طبيعي غريزي ٠والفرق الوحيد بين مصّ الطفل لثدي أُمّه ومصّه لأصابع يديه هو أن الفعل الأوَّل مُفيد ولذيذ معاً، بينما الثاني ــ علي لذته ــ لا منفعة منه، بل قد يؤدي ــ أحياناُ ــ إلي تشويه الفك٠

ويمكن اعتبار كُلّ عادات المصّ والعض وسيلة لإثارة إحساسات تنشأ بالتأثير في أجزاء البدن المختلفة التي يمكن أن يحصل عليها الفرد علي أقدار مختلفة من الرّضا والإشباع٠ وتعتمد شدة استمساك الطفل بهذه العادات علي شدة تلك اللَّذة، والأطفال يتفاوتون تفاوتاً كبيراً ــ كتفاوت الكبار ــ فيما يتعلَّق بالبطء في التخلُّص من السعي وراء اللَّذة٠

مصُّ الأصابع.. بين الرضاعة الطبيعيَّة والرضاعة الاصطناعيَّة:

غريزة المصّ هي أقوي الغرائز عند الرضيع، وكيف لا، أليس اسمه الرضيع !! لنتأمَّل الطفل بعد الولادة حين يُلامس فمه حلمة ثدي الأم مرَّة٠٠إنَّه يبدأ في امتصاصها بلا تفكير. وبدون هذه الغريزة لن يستطيع مثل هذا الرضيع أن يعيش، فكُلِّ غذائه في الشهور الأولي يكون عن طريق الامتصاص من الثدي (الرضاعة الطبيعيَّة)،أو الامتصاص من زجاجة الحليب (الرضاعة الاصطناعيَّة)٠

والطفل حين يرضع يحاول إشباع غريزة المصّ، وغريزة الجوع، وهو حين يتناول زجاجة الحليب «البزازة» ويفرغها، تبعدها الأم عن فمه حتى لا يمتص الهواء، فيُصاب بالمغص·وعادةً يكون الرضيع قد شبع تماماً، ولكن هل أشبع غريزة المصّ ؟ وهل تمتَّع بالمصّ للمدة التي يشاؤها ؟ هذا أمر مشكوك فيه تماماً، وخصوصاً إذا كبر في العُمْر واستطاع أن يُنهي «البزازة» بسرعةٍ·

ولعلّ الكثير من الأمهات يلاحظن أنَّ الطفل يقاوم مَنْ يُحاول نزع الزجاجة من فمه بعد فراغها، ويتعجبن من هذا، فهن يفسرونه بأنَّه جوع بالرغم من كفاية كمية الحليب، ولكن الواقع··إن الطفل يحتاج إلي إشباع هذه الغريزة المُسيطرة ــ غريزة المصّ ــ حتى بعد أن انتهي جوعه·

أمَّا عند الوليد الذي يرضع من الثدي فإنَّ الأم تتركه حتى يشبع ويترك الثدي بنفسه، وهو هنا يُعلن إشباع جوعه ورغبته في المصّ معاً، ولذا لوحظ أنَّ نسبة الأطفال الذين يقومون بمصّ الأصابع تزيد كثيراً بين الأطفال الذين يتناولون زجاجة الحليب «البزازة» عن أولئك الذين يرضعون ثدي أمهاتهم، فالفئة الأولي أمهاتهم هي التي تدفع «البزازة» عنهم ــ سواء رغبوا أم لم يرغبوا ــ حين تفرغ، والفئة الثانية فإنَّهم يرضعون وفق هواهم حتى يتركوا الثدي في كبرياء المستغني·

وتبدأ عادة مصّ الأصابع عند الطفل المولع بالمصِّ والذي يفتقر إلي اهتمام الأهل ــ بمحض الصدفة ــ فالطفل يُحرّك يديه تجاه وجهه فإذا بقبضة يده أو أصبعه تلاقي شفتيه فيمصّه، ويجد في هذا المصّ شئ لا يصدقه عقل، وإنَّه يبعث فيه شعوراً بالراحة كان ينشدها من قبل، فيستمر علي هذه العادة السَّارة بالنسبة له، والمؤرقة بالنسبة لأهله !!

أهم الآراء العلميَّة التي تناولت عادة مصّ الأصابع:

الرأي الأوَّل:

يري البعض أنَّ عادة مصّ الأصابع عادة مفيدة وهادفة، يجد فيها الطفل الراحة والتهدئة والتسلية، ذلك أنَّ في كُلِّ مرَّة يحس ألم الجوع، فيضطرب ويبكي، ويُعطي الثدي أو زجاجة الحليب «البزازة» فيمصّ، فيحصل علي الحليب، فيشبع ويرتوي ويزول اضطرابه ويهدأ ·ومع التكرار تقترن لديه عملية المصّ بزوال الاضطراب والحصول علي الراحة والاطمئنان، لذا نراه يلجأ إلي مصّ الأصابع أو اللهاية «السكاتة» والتي تُسميَّ بالإنجليزية «المهدئة» في كُلِّ مرَّة يشعر فيها بالاضطراب لأي سبب كالجوع ،أو التَّعب، أو الملل، أو الألم·

الرأي الثاني:

يؤكّد البعض أنَّ عادة مصّ الأصابع هي عادة تطورية مرحلية، والدليل على ذلك أنَّ الطفل قد يبدأ بهذه العادة من حياة الرحم، وقبل أن يرضع الثدي٠ثبت ذلك بكُلِّ تأكيد لمَّا يُري من آثار المصّ على الأصابع أو اليد عند الوليد أحياناً، وقد ذكر بعض الأهل مرَّة أنَّهم سمعوا أصواتاً غريبة لحظة ولادة طفلهم، ثُمَّ تبيَّن لهم بعد لحظات أنَّها ناجمة عن مصّ الأصابع، ولا ننسى الوضعيَّة الطبيعيَّة للجنين وللوليد وهي أن تكون يده قريبة من فمه، فلم لا يضعها في فمه،ثم يمصَّها ؟ ونحن نعلم أنَّ الفم هو الوسيلة الأولى للتعرُّف والاختبار٠

الرأي الثالث:

يقول أنَّ عادة مصّ الأصابع هي عادة تعويضية، وسببها عدم إتاحة الفرص الكافية للطفل كي يُشبع نهمه للمصّ؛ لذا نري هذه العادة أكثر انتشارا في البيئات الغربية، حيث يُعطي الطفل ــ على الأغلب ــ زجاجة الحليب في أوقاتٍ مُحدَّدة مُنظمة، بينما تقلّ أو تنعدم في البيئات الفطرية، حيث تُعطي الأم ثديها لصغيرها كُلَّما شعرت أنَّه بحاجةٍ إليها، دون تقيُّد بوقتٍ مُحدَّد أو مدة مُعيَّنة، فيشبع حاجته للمصّ كما يُشبع حاجته للغذاء٠

الرأي الرابع:

اعتبر عَالِم النفس الشهير ومؤسس علم التحليل النفسي «سيجموند فرويد» Sigmund Freud (1856-1939) أنَّ مصّ الأصابع في كتاباته السيكولوجيَّة من الظواهر الجنسيَّة للطفل٠والطفل لا يستعمل أشياء أخري للمصّ، ولكنَّه يُفضل أصابعه وجلده ليقنع نفسه بأنَّه في غني عن العالم الخارجي الذي ما زال يتحكَّم فيه٠وإذا استمر الطفل يُمارس عادة مصّ الأصابع بعد المرحلة الفمية السادية التي تلي المرحلة التي يسود ارتباط اللَّذة الجنسيَّة بإثارة الفجوة الفمية والشفتين التي تلازم تناول الغذاء، فقد يكون هذا مؤشراً علي أنَّ الطفل يُعاني من حالة قلق نفسي وشعوراً بالذل والمهانة وضعف الشخصيَّة٠

الرأي الخامس:

يقول هذا الرأي بأنَّ المصَّ ليس آلية لتلقي الغذاء فقط، بل كذلك يُفيد في منح الوليد شعوراً بالسيادة والنشوة٠إنَّ الوليد يمتلك طاقات كافية تفوق ما قد يتصوَّره بعضنا، ويحتاج إلي صرفها و لا يستطيع في هذه المرحلة المبكرة من عُمُره أن يصرفها إلاَّ عن طريق هذه الآلية، لكونه لا يقدر علي الكلام أو الحبو، فإنْ توافرت له الفرصة لصرف هذه الطاقة من خلال الرضاعة الطبيعيَّة مع دفء وحنان الأم، فإن هذه الطاقة تُصرف وبشكلٍ

طبيعي، ولكن عندما تعمد الكثير من الأمهات إلي استعمال «البزازة» بديلاً عن حليبها وحنانها، وبالتالي لا يستطيع الرضيع صرف طاقاته الكامنة فيصرفها بالطريق الوحيد الممكن لديه، وهو المصّ وبخاصَّةٍ مصّ الأصابع. ولا شك أنَّ الطفل يريد شيئاً من وراء هذه العملية، فإذا كان يُكثر من مصّ أصابعه قبل دقائق من تقديم الطعام فهذا يعني أنَّه جائع.